

تجانس المنهج السيميائي مع المناهج الأخرى في سورة الرحمن من خلال
كتاب نظام الخطاب القرآني (لعبد الملك مرتاض).

**The homogeneity of the semiotic approach with other approaches
in Surat Al-Rahman, through the book "The Qur'anic Discourse
System" by Abd al-Malik Murtagh**

إكني عمر*

جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف-الجزائر O.ikni@univ-chlef.dz

سحواج امحمد

جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف-الجزائر m.sahouadj@univ-chlef.dz

تاريخ النشر:

2025-01-31

تاريخ القبول:

2024-06-26

تاريخ الإرسال:

2023-07-24

ملخص: تسعى هذه الدراسة أساساً إلى تقديم قراءة نقدية، في كتاب "نظام الخطاب القرآني؛ تحليل
سيميائي مركب لسورة الرحمن للباحث عبد الملك مرتاض"، وذلك من خلال نقصي الآليات والإجراءات
التي وظّفها الناقد في كتابه، والذي بدوره اعتمد المنهج التركيبي من خلال ربطه بالمنهج السيميائي
بالمناهج الأسلوبية، باعتبارهما منهجين نقديين نسقيين، بالإضافة إلى مناهج أخرى تقليدية على غرار
المنهج التأويلي والإحصائي. وسنحاول في هذه الدراسة رصد أهم الأسباب التي ساعدت الناقد في
تطبيقه المناهج الغربية على النصّ القرآني، وكذا التّقيب عن الآليات التي تجسّدت في الخطاب القرآني
ضمن إشكالية فحواها: ما مدى استجابة الخطاب القرآني لإجراءات التحليل السيميائي؟ وما هي أهم
الإجراءات السيميائية التي وظّفها الناقد في سورة الرحمن؟ ومن النتائج التي توصلت إليها ضرورة
استخدام المنهج التركيبي في فهم وتحليل النصّ القرآني من خلال ربط المنهج السيميائي بالمناهج

* المؤلف المرسل

الأخرى كسبيل لتوضيح المعاني وفهم رموز النص القرآني، كما عكست هذه الدراسة بشكل كبير مدى استجابة النص القرآني للمنهجين السيميائي والأسلوبي في فك شفرات الخطاب القرآني بشكل متناغم.

كلمات مفتاحية: قراءة نقدية؛ المنهج التركيبي؛ المناهج الغربية؛ النصّ القرآني؛ المنهج السيميائي.

Abstract: This study primarily aims to provide a critical analysis of the book "The System of Quranic Discourse: A Compound Semiotic Analysis of Surat AR-Rahman" by the researcher Abdul Malik Mortath. This is achieved through examining the mechanisms and procedures employed by the critic in his book, which in turn adopted a structural approach by linking semiotic methodology with stylistic methodology, considering them as complementary critical methods, in addition to other traditional approaches such as interpretive and statistical methodologies. The study also seeks to identify the key reasons that facilitated the critic's application of Western methodologies to the Quranic text, as well as to investigate the mechanisms embodied in the Quranic discourse within the problematic framework: How responsive is the Quranic discourse to semiotic analysis procedures? What are the most significant semiotic procedures employed by the critic in Surah AR-Rahman? Among the results obtained is the importance of using the structural approach in understanding and analyzing the Quranic text by linking the semiotic approach with other methodologies as a means to clarify meanings and understand the symbols of the Quranic text. This study also significantly reflected the extent to which the Quranic text responds to both semiotic and stylistic methodologies in deciphering the Quranic discourse cohesively.

Keywords: critical reading; synthetic method; western curricula; Quranic text Semiotic approach.

1-مقدمة: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

محمد عليه أطيب الصلاة وأزكى التسليم:

يهتمّ المنهج السيميائي بدراسة أنساق العلامات والرموز، فرض حضوره في مجال الدراسات النقدية الحديثة، وذلك من خلال التعامل النقدي مع النصوص الأدبية. ولقد انتشر هذا المنهج في النقد العربي على يد ثلّة من النقاد والأدباء، بحيث اعتمدوا على الدراسات النظرية والتطبيقية على حد سواء، إذ أنّ التحليل السيميائي في مختلف الأجناس الأدبية يقترح منهجيات

على نماذج منطقية، تتماشى مع البناء الشكلي للمنهج السيميائي. فالعلامة تستعمل بغية نقل المعلومات من أجل الإشارة إلى شيء ما، كما أنها تركز على عملية نقل مجموعة من الألفاظ والمعاني التي تسعى لتحقيق رسالات هادفة إذ أنّ دراسة القرآن الكريم سيميائيا ليس بالأمر السهل ؛ فهي تتطلب بحثا مركّزا يصعب فيه تطبيق الأدوات السيميائية بشكل مركز على كلام الله عز وجل، بينما الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض استطاع تأليف كتاب في هذا الميدان، وهذه حسنة تحسب لهذا الباحث الفذّ، الذي يعتبر قامة من قامات النّقد في الوطن العربي عامّة والجزائر خاصّة، وسنحاول في هذا المقال التعريف بهذا المنهج وإبراز معالمه وإسقاطه على بعض النّقّاد المغاربة الذين اهتمّوا بهذا الميدان ، وهذا ما يجعلنا نطرح الإشكال التالي:

• ما هو المنهج السيميائي؟ هل للمنهج السيميائي مبادئ في التحليل تختلف عن بقية المناهج؟

• ما هي الآليات الإجرائية التي اعتمد عليها مرتاض في تأليف هذا الكتاب؟

• ما هو المعجم الذي نهل منه الناقد؟

2- تعريف المنهج السيميائي:

1.2 من الجانب اللغوي: ورد في لسان العرب: "السومة والسيما والسيماء: العلامة، وسمو الفرس، جعل عليه السيمة وقوله عز وجل: ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۚ﴾ (سورة الذاريات: الآية: 34)، قال الزجاج: روى الحسن أنها معلّمة ببياض وحمرة، وقال غيره: مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا، ويعلم بسيماها أنها مما عذب الله بها، أمّا الجوهري فقال: السّومة بالضم العلامة تجعل على الشاة وفي الحرب أيضا، تقول منه تسوم¹."

2.2 من الجانب الاصطلاحي: مصطلح (السيمياء) كثير الاستعمال في الدراسات النقدية واللغوية والأدبية، ولكن مرادفه الشائع عند العلماء العرب القدامى تمثل في علم (الدلالة)، فالأعمال اللغوية المبكرة عندهم تُعدّ من مباحث (علم الدلالة)، ولقد ذكر ابن خلدون الدلالة في مقدّمته فقال: "يتعين النظر في دلالة الألفاظ"².

قال صاحب التعريفات (816هـ): "إن الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر..."³.

يقول محمد عزام: "لعل النقد الدلالي (السيميائي) العربي القديم نشأ على جهود اللغويين العرب الذين كانوا قد تتبعوا تطور دلالات الألفاظ من عصر إلى عصر، مثل ابن فارس الذي حلّل في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) مجموعة من الألفاظ (كالكفر) الذي كان يعني الغطاء والستر، فأصبح يعني -بعد الإسلام- شيئاً آخر هو مخالفة الدين. وكذلك (التيمم) الذي كان يعني الطلب والقصد، فأصبح يعني شيئاً آخر"⁴. بمعنى تغير دلالات المصطلح حسب كل عصر ومكان.

أكّد صبري فوزي أبو حسين أنّ "السيميائيات المعاصرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنموذج اللساني البنوي المعاصر الذي أرسى دعائمه، اللغوي المشهور: السويسري (دي سوسير) الذي جعل من اللسانيات علماً شاملاً تستفيد منه المعارف الأخرى كالنقد الأدبي والأسلوبية والتحليل النفسي وعلم الاجتماع؛ والتي بدورها تقوم على تقنيات وآليات ومفاهيم تحليلية، خاصة سيميائية الدلالة التي تلجأ إلى تطبيق الثنائيات السيميائية على موضوعات غير لغوية، ولكنها ذات طبيعة اجتماعية كاللبسة والأطعمة والموروثات الثقافية، ومن أهم هذه الثنائيات: اللسان والكلام، الدال والمدلول، المركب والنظام، التقرير والإيحاء"⁵.

وذهب جميل حمداوي إلى تعداد الوظائف التي يتمتع بها المنهج السيميائي "لرصد كل الأنشطة البشرية بالتفكيك والتركيب، والتحليل والتأويل، بغية البحث عن

آليات إنتاج المعنى، وكيفية إفراز الدلالة عبر مسالة أشكال المضامين، مع سبر أغوار البنيات العميقة دلالة ومنطقاً، من أجل فهم تعدد البنى النصية وتفسيرها على مستوى البنية السطحية تركيباً وخطاباً. ومن ثم استكشاف البنيات الدلالية التي تتضمنها الخطابات والأنشطة البشرية بنية ودلالة ومقصدية، والبحث عن الأنظمة التواصلية تعقيداً وتجريداً ووظيفة. كما تعتمد السيميولوجيا إلى وضع قواعد مجردة كونية للخطابات الأدبية سطحا وعمقا، قصد فهم الإبداعات الفردية في كل تجلياتها السطحية على المستويات الصرفية، والتركيبية، والدلالية، والمنطقية⁶. وعليه يعتبر المنهج السيميائي أداة قوية لفهم النصوص وتحليلها بشكل نقدي، من خلال استخراج المعاني الضمنية وإدراك الدلالات المتعددة التي تسهم في ربط النص بالسياق الذي تريد الوصول إليه، نظرا للعوامل التي تؤثر فيه.

3- آليات التحليل السيميائي: إنّ الهدف من التحليل السيميائي للنصوص الأدبية هو النظر فيها من جميع جوانبها بغض النظر عن طبيعتها ومؤلفيها، بغرض التعمق في أسرار النص واستخراج مكنوناته الداخلية وألغازه السريّة ومدلولاته الخاصّة، "بالإضافة لمحاولة ربط النصوص الأدبية بالواقع الفعلي والدروس المستفادة منها، ليتم الاعتبار بها، كما أنّ من خصائص التحليل السيميائي تأثيره بشكل كبير بالظروف التي تحيط به، لذلك نجد أنّ التحليل السيميائي لأحد النصوص قد يختلف من فرد لآخر ومن مكان لآخر ومن زمن لآخر، لذلك فهو يحتمل الإبداع فلا يرتبط بأي قيود، ولكن يمكن أن توجد دلائل من المحلل على ما قام به من تحليل.

وهناك جانبين يركز عليهما التحليل السيميائي وهما:

✓ الرمزية والدلالات.

✓ ربط النص بالواقع، ويجب التنويه أنّ ذلك لا يرتبط بأشخاص، أو بمكان أو بأحد القضايا المعينة⁷.

تتمثل آليات التحليل السيميائي في النقاط الآتية:

❖ **التحليل المحايث:** الذي يبحث عما تكون الدلالة فيه من شروط داخلية وإبعاد كل ما هو خارجي، أي البحث عن العالقات الرابطة بين العناصر التي تنتج المعنى.

❖ **التحليل البنيوي:** لإدراك المعنى إذ لا بدّ من وجود نظام من العلاقات التي تربط بين عناصر النص، ولذا فإن الاهتمام يجب أن يوجه إلى ما كان داخلاً في نظام الاختلاف الذي يسمى شكل المضمون، وهو التحليل البنيوي.

❖ **تحليل الخطاب:** يعد الخطاب في مقدمة اهتمامات التحليل السيميائي الذي يهتم بالقدرة الخطابية، وهي القدرة على بناء نظام لإنتاج الأقوال، على عكس اللسانيات البنيوية التي تهتم بالجملة⁸.

عموماً فإنّ آليات التحليل السيميائي ترتكز على ما يلي:

- الدال والمدلول: فالدال هو العنصر المادي الذي يعرف بشيء ما ويدل عليه، أمّا المدلول فهو العنصر المعنوي الذي يحمله الدال.
- العلاقات الترابطية الموجودة في داخل النص فقط، وكذا العلاقات التباعدية الواقعة في داخل النص وخارجه.
- التأويل الذي يتم من خلاله الكشف عن المعاني الضمنية، والبنى النصية، وتفكيك النص وفك شفرته.

4- المنهج السيميائي في كتاب "نظام الخطاب القرآني" للناقد عبد الملك مرتاض*:

أشار بعض الدارسين إلى القول بأنّ الخطاب القرآني هو الموجود في القرآن الكريم بتنزيل من العزيز الحكيم، وهو خطاب له مدلولاته وإشارات التي لا تنتهي، معصوم من التحريف والتبديل، كما أنّه لا يُترجم حرفياً إلى لغاتٍ أخرى وإنّما تتم ترجمة معانيه ومدلولاته وشرح آياته ومفرداته، كما أنّه موجّه حسب الحاجة فهو تارةً موجّه للرّسول صلى الله عليه وسلم أو لأزواجه أو لعامة المسلمين وخاصّتهم أو لكفّار

قريش أو للمنافقين وغيرهم، كما أنه أعجز الإطلاق من حيث البلاغة اللغوية والإعجاز اللغوي والإبداع في اللفظ والمعنى والتراكيب، ووروده في القرآن الكريم مرتبطٌ بالعزة، والحكمة، وعظمة الخالق عز وجل⁹.

الخطاب القرآني هو خطاب ربّاني ينماز بخصائص فريدة تجعله مصدرا غنيا بالمعرفة والإلهام، كونه ضرورة لابد منها لفهم الدين الإسلامي وإدراك معانيه وتطبيق شرائعه، ومصدر قوي يؤكّد على جمال اللغة العربية وعظمتها.

1.4 التعريف بسورة الرحمن وأسباب نزولها: هي السورة الخامسة والخمسون في ترتيب المصحف العثماني، مكية وتعرف بعروس القرآن الكريم، كما أنّها من أوائل السُور التي نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تهتمّ بأصول العقيدة الإسلامية، ولها نسقٌ خاص يختلف عن باقي سور القرآن الكريم، إذ بدأت السورة بتعداد نعم الله على عباده التي لا تُحصى وعلى رأسها عظمة تعلم القرآن الكريم، ثمّ تبعتها آيات جاءت كحجج على عظمة نعم الله تعالى في الكون ومخلوقاته.

قال جمهور الفقهاء والتابعين إنّها سورة مكية؛ وعدد آياتها ثمان وسبعين 78 آية ودليل ذلك ما ورد عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها- من أنّها قالت: "سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدّع بما يؤمّر والمشركون يسمعون ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾"¹⁰.

أمّا من أسباب نزول سورة الرحمن فذكر الفقهاء عدّة أسباب نذكر منها ما

يلي:

❖ أنّ سورة الرحمن نزلت في أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-؛ بسبب خوفه من الله -تعالى- عندما تذكّر أهوال يوم القيامة، والميزان، والجنة، والنار؛ فكان يتمنى لو أنّه لم يُخلَق أبداً، أو أنّه خُلِق نبتة خضراء تأكلها البهائم، فنزل قوله -تعالى-: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾¹¹.

❖ قيل إن سبب نزول هذه السورة هو قول المشركين المحكى عنهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: 60]، "فتكون تسميتها باعتبار إضافة سورة إلى الرحمن على معنى إثبات وصف الرحمن... فردّ الله على المشركين بأن الرحمن هو الذي علّم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، وهي من أوّل السور نزولاً"¹².

❖ وقيل هذه السورة نزلت بسبب قول المشركين في النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ [النحل: 103]؛ أي: يُعلّمه القرآن، وكان الاهتمام بذكر الذي يُعلّم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن أقوى من الاهتمام بالتعليم"¹³.

2.4 الآليات التي استعملها عبد الملك مرتاض في دراسة سورة الرحمن من المنظور النقدي: ألف الباحث الجزائري هذا الكتاب سنة 2001، لعدة أسباب أشار إليها في كتابه، ارتأيت أن أسطرها كالآتي:

➤ منذ حفظه للقرآن الكريم وجد نفسه في حاجة للكتابة ولو شيئاً ما، وظلّ يغالب هذا التردّد فيغلبه، ويصارع، ولكنه استسلم على مضاضة.

➤ يعتبر مجلس صنعاء الذي حضره عبد الملك مرتاض سنة 1999م، المكان الأول الذي حضرته فيه فكرة تأليف هذا الكتاب، نظرا لنقاش دار بين عصبة من أكابر الأدباء والنقاد العرب، من جملة الأقطار العربية، حين ذكروا القرآن، ثمّ ذكروا سورة الرحمن، وتناظروا حول تكرار آية البأرّة؟ (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فعرض لهذا الترداد أحد النقاد العرب المعروفين بكلام لم يعجب عبد الملك مرتاض، بل أساء إلى شعوره، وشعور المؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر ممّن كانوا حاضرين في المجلس.

➤ ساهمت مبادرة صنعاء في الازدياد من عزيمة الناقد في التفكير والتأمّل في هذه السورة العجيبة والكتابة عنها للردّ على أولئك المغرضين¹⁴.

يَبِينُ النَّاقِدُ لِلْقَارِئِ طَرِيقَةَ مَنْهَجِهِ فِي كِتَابِهِ هَذَا الَّذِي يُعْتَبَرُ مِنْ أَجْمَلِ مَا دَوَّنَ مِنْ مَوْلاَفَاتِهِ، لِأَنَّهُ يَصِبُّ فِي مَوْضُوعٍ عَظِيمٍ وَكَلَامٍ عَظِيمٍ صَادِرٍ مِنْ رَبِّ عَظِيمٍ عَزِيزٍ قَدِيرٍ، كَيْفَ لَا وَهُوَ يُتَدَارَسُ سُورَةُ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَقَدْ اعْتَمَدَ مَرْتَاضٌ فِي مَنْهَجِهِ عَلَى الْقَوَاعِدِ التَّالِيَةِ:

- وَضَّحَ تَكَرَّرَ آيَةِ الْبَآئِرَةِ (فَبَآيَ آلاءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ) الَّذِي عَابَهُ بَعْضُ النَّقَّادِ الْمُعَاَصِرِينَ كَرَدَّ فَعَلَ عَلَى أَوَّلُنَا الَّذِينَ عَابُوا عَلَى هَذِهِ السُّورَةِ فِي مُؤْتَمَرٍ صَنَعَاءَ.
 - وَظَّفَ الْمَنْهَجَ التَّرْكِيبِيَّ، وَالَّذِي جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ الْمَنْهَجِ التَّأْوِيلِيِّ، وَالْمَنْهَجِ الْبَنِيَوِيِّ، وَالْمَنْهَجِ السِّمِّيَّائِيِّ الْغَالِبِ عَلَى الْبَحْثِ، وَالْمَنْهَجِ الْأَسْلُوبِيِّ.
 - مَارَسَ مَرْتَاضَ دِرَاسَتَهُ بِاتِّبَاعِهِ نِظَامَ الْمُسْتَوِيَّاتِ وَالَّتِي تَمَثَّلَتْ فِي سِتِّ مُسْتَوِيَّاتٍ.
 - تَتَاوَلَ مَفْهُومُ الزَّمَنِ الْقُرْآنِيِّ وَبَيَّنَ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الزَّمَنِ الدُّنْيَوِيِّ الزَّائِلِ.
- وَسَنَدْرُسُ كُلَّ إِجْرَاءٍ عَلَى حَدِي:

1.2.4 المنهج الأسلوبي: (سَرَّ تَكَرَّرَ آيَةِ الْبَآئِرَةِ) وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبَآيَ آلاءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾:

يَقُولُ عَبْدُ الْمَلِكِ مَرْتَاضٌ حَوْلَ هَذَا الصَّدَدِ: "وَنَحْنُ مَا هَدَيْنَا إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَدَارِسَةِ أَنَّ كُلَّ آيَةِ بَآئِرَةٍ* تَتَرَدَّدُ بَعْدَ تَقْرِيرٍ مُوقِفٍ، أَوْ تَقْدِيمِ فِكْرَةٍ، أَوْ إِقْلَاقِ مَوْعِظَةٍ، بَيَانِ تَدْبِيرٍ، أَوْ إِخْبَارٍ عَنْ أَمْرٍ...تَكُونُ مُنْدَمِجَةً مَعَ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلُهَا، فَهِيَ وَإِنْ تَكَثَّرَتْ لَفْظًا، فَإِنَّا نَتَّخِذُ فِي كُلِّ تَجْلِيَةٍ رَدَاءَ دَلَالِيَا قَشِيْبَا لَمْ يَكُنْ مُتَصَوِّرًا فِي بَعْضِ سَوَابِقِهَا، وَلَا مُتَمَثِّلًا فِي لَوَاحِقِهَا أَيْضًا، فَكَأَنَّ الْآيَةَ الَّتِي تَسْبِقُهَا تَكُونُ سَمَةً أُسَاسِيَةً، وَآيَةُ الْبَآئِرَةِ تَكُونُ مُؤَوَّلَةً لَهَا، وَقُلْ إِن شِئْتِ إِنَّ الْآيَةَ السَّابِقَةَ عَلَيْهَا تَقْرِيرٌ وَإِخْبَارٌ، وَآيَةُ الْبَآئِرَةِ تَبْكِيَتْ وَحَمَلَتْ عَلَى الْإِسْتِقْسَارِ"¹⁵.

نَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ أَنَّ التَّكَرَّرَ يَدْخُلُ ضَمْنَ الْمَنْهَجِ الْأَسْلُوبِيِّ لِأَنَّهُ يَدْرُسُ ظَاهِرَةً مِنْ الظُّوَاهِرِ اللَّغَوِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالَّذِي لَا يَعِدُ لَغَوًا أَوْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَالتَّكَرَّرُ

أسلوب بلاغي يكثر منه السياق القرآني، دون إطناب أو إضافة، لأن وراءه غاية ربانية وسر إلهي، حيث لكل لفظ من ألفاظه ضرورته في تثبيت المعنى المراد إيصاله للمتلقّي، والتكرار جزء من هذه الآليات التي تسهم في توضيح المعنى وتبينه.

2.2.4 المنهج التأويلي: عرّفه فتحي الدريني بقوله: 'تبيين إرادة الشارع من اللفظ، بصرفه عن ظاهر معناه المتبادر منه، إلى معنى آخر يحتمله، بدليل أقوى يرجح هذا المعنى المراد. وهو تعريف منضبط ودقيق وواضح، اشترط فيه أن يكون دليل المؤول أقوى، وأضاف إليه أن التأويل هو تبيين إرادة الشارع من اللفظ، وهو ضابط مهم جعل من التعريف ذا دلالة، تعني أن اللجوء إلى التأويل ضرورة شرعية ولغوية'¹⁶.

ونجد عبد الملك مرتاض يؤكد على أن "تأويل النصّ القرآني لسلوك مشروع، بنصّ القرآن نفسه منذ أن أذن الله بأن يكون العلم بتأويل المشكل من هذا القرآن، والمتشابه منه، وفقا عليه سبحانه أولا، ثم على الراسخين من عباده في العلم آخرا، فلو لم تبج الآية السابعة من سورة "آل عمران" للعلماء حق الخوض برأيهم في هذه المشكلات من الآيات لما خضنا نحن، ولكن أغلقنا للرأي بابه، ومزقنا للتأويل جوابه، ولكننا طوينا الصحائف طيا...مع أنّ الله كرّمنا بالتفكير، واجتباننا بالعقل، وهي الصفة التي تميّز الإنسان عن الحيوان"¹⁷.

عدّد الباحث مجموعة من الصفات التي لا بد أن تتوافر في المهتم بهذا الفن لممارسته، وهي كالآتي:

- العلم بأحوال الناسخ والمنسوخ وبأسباب النزول، وبما فسّر بحديث وبما لم يفسر به، ثم بما فسر به من علماء الصحابة وعلماء التابعين، ومعرفة علم القراءات، ومحاولة معرفة الظروف، وإدراك المكي والمدني، وكذا القراءة المتأنية للتراث الإسلامي، وخصوصا كتب التفسير والحديث.

• القدرة على الاستنباط من هذا العلم، والبراعة في المبادرة إلى القراءة والاستنتاج وفرض الفروض فيما يشكل من الأمر، ويدق من التأويل، وحسن الاجتهاد في تخريج المسائل المتعلقة بنص القرآن.

• معرفة اللغة العربية بجميع مستوياتها من نحو وصرف وبلاغة وأسلوبية ومعجمية واشتقاقية، وكذا اللسانيات الجديدة، والسيمانيات العصرية، مؤكداً أن هذين الأخيرين هما اللذان يعنياه في مدارس سورة الرحمن¹⁸.

تناول عبد الملك مرتاض هذا المنهج في المستوى الأول الذي اعتنى فيه بتأويل بعض المشكل من نص سورة الرحمن، عبر ثلاثة مواقف مختلفة ولكنها مرتبطة ببعضها البعض:

1. الموقف الأول: ينطلق من مبتدأ نص السورة إلى الآية الثلاثين منها، ويقوم على التذكير بعظمة الله وقدرته وحكمته وأفضاله على عباده.

2. الموقف الثاني: والذي سمّاه بالبنية العقابية، لأنّ يتكلّم عن الوعيد للمستهترين والجاحدين.

3. الموقف الثالث: والذي وصفه بالبنية الثّوابية لأنه يتحدّث عن شؤون ثواب الصالحين وتكريم المتّقين من العباد المخلصين¹⁹.

4.2.3 المنهج السيميائي: وسمه بالزمن القرآني، متسائلاً لماذا لم يسمه بالزمن الرياضي أو الفلسفي أو النحوي، قائلاً: "ارتأينا أن ندرج بعض ما كنا لاحظناه، أو حللناه به على الأصحّ، تلك الآية الشريفة التي استشهدنا بها آنفاً، فهي تزخر بعجائب الأزمنة، ولطائف الإشارات، وكرائم الدلالات السيميائية، والذي بدوره يجسد بنية علاقاتية سيميائية تتمثل خصوصاً في أربعة أطراف:

■ الله بصفته الذات المتعالية.

■ جبريل وهو الباث الواسطة الأول

■ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يمثل الباث الواسطة الثاني

■ البشر وهم المؤمنون الذين تلقوا النص القرآني مشافهة²⁰

نزل القرآن الكريم كلام الله تعالى على الرسول الكريم محمد صلى الله عليه

وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، الذي كان يأتيه بالوحي من رب العالمين.

جنح الناقد للقول في أواخر هذا المستوى للقول بأن "الله قديم وقدمه وديمومته

يجب أن تكون فوق الزمان الذي نحسبه بالمدى، ونعده بالأعشار والثواني والدقائق

والساعات والأسابيع والأيام والشهور والأعوان والقرون... إذن تتناول هذا الزمن تتاولا

نحويا سيكون قاصرا عاجزا، وهو لا يمكن تناوله نحويا، وحتى سيمائيا إلا على أساس

المنظور الإلحادي الذي نرفضه"²¹.

على ذمة افتراضات المنهج السيميائي، أجرى عبد الملك مرتاض تحليله لنص

السورة بأحد إجراءات المنهج السيميائي متمثلة في (التشاكل والتباين) والتي تتاولها في

ثلاث وخمسين آية من مجموع ثمان وسبعين آية، في حين أنّ غايته المرجوة من وراء

هذا المسعى لم تكن «متابعة استقرائية للغة القرآن عبر سورة الرحمن كلّها، وإنّما كانت

رسم طريق، وترسيخ منهج، أمام القارئ أساسا»²².

فالتشاكل والتباين هو تكرار كلمات أو عبارات تنتمي لنفس المعنى، وكذا

استعمال نفس الجذر اللغوي مثل: الرحمن الرحيم، أمّا التباين فهو استعمال

مصطلحات أو صور متضادة مثل: الشمس والقمر، الأرض والسماء، الليل والنهار...

4.2.4 المنهج البنيوي: لا يوجد حضورا للتفسيرات الخارجية عن نص السورة لأن "

الناقد اكتفى بوصف مكوناتها المساهمة في تكوين إعجازيتها وعلاقتها بالقارئ انطلاقا

من نص السورة الكريمة، والتي وجد فيها أحيانا أنّ بعض الإجراءات السيميائية ليست

صالحة في تحليلها كونها تخضع للتفسيرات إلى بعض الرؤى التي قد لا تتناسب

وربما تتناقض مع العقيدة الإسلامية، ومثل هذا ما توصّل إليه عندما وجد أنّ الزمن القرآني يأبى الانصياع لأي تحليل سيميائي²³

هناك عدّة أسباب تجعل الزمن القرآني لا ينصاع للتحليل السيميائي تتمثل فيما يلي:

- الزمن القرآني مرتبط بعظمة الإله، وعليه لا يمكن تحليل الزمن القرآني بأدوات التحليل البشرية القاصرة.
- الزمن القرآني يتجاوز الزمن البشري إلى ما قبل الخلق وبعده.
- الزمن القرآني يعجز البشر لأنه يدلّ على معانٍ أكثر عمقا. مثل: قضية السفر عبر الزمن، قضية الأراضين السبع، حادثة الإسراء والمعراج خير دليل على ذلك.
- بعد ذلك انتقل الناقد لدراسة البنية الإيقاعية للسورة من خلال تحليل عنصر تكرار الكلمات والعبارات ومدى تأثيرها على إيقاع النصّ (فبأي آلاء ربكما تكذبان)، وأيضا تحليله للإيقاع الداخلي والخارجي للسورة، كما تناول مرتاض أيضا أسلوبية خصائص اللغة القرآنية من ناحية النسخ اللغوي، والمتمثلة في طريقة توظيف الترابط بين الكلمات والجمل والسورة القرآنية بما قبلها وما بعدها، وهذا كله إعجاز بياني يبين للقارئ عظمة القرآن الكريم وقوة بيانه.
- استعان الباحث كذلك بالمنهج الإحصائي، الذي وظفه في تعداد المفردات اللغوية الموجودة في سورة الرحمن، وذلك من خلال الاعتماد على العناصر التالية:
- تعداد المفردات اللغوية المختلفة، مثل: (عَلَّمَ، خلق، رفع، وضع، الجن والإنس، الثقلان)
- تحليل كثافة الكلمات المتكررة في النص، مثل: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)، (الجلال والإكرام).

- طريقة توزيع الكلمات والمفردات في النص القرآني بطريقة عظيمة يعجز عنها العقل البشري القاصر، مثل: (الشمس والقمر بحسبان، النجم والشجر يسجدان)
- يعتبر المنهج الإحصائي أداة قوية لفهم النصوص وتحليلها بشكل دقيق وعميق.
- القرآن الكريم ليس كتاباً إحصائياً بالمعنى التقني للكلمة فقط، بل هو كتاب علمي، له أبعاد تشريعية ودينية وتأملية، لتوجيه البشر وهدايتهم، غير أنه يمكن تفعيل الأدوات الإحصائية لفهم البعد اللغوي والأسلوبي في القرآن الكريم، من خلال دراسة توزيع الكلمات والمفردات وتحليلها، ودراسة الكلمات المتكررة، وطرق التنويع في الأساليب اللغوية.

5-خاتمة: يحبذ عبد الملك مرتاض كثيراً خاصية التركيب المنهجي، وهذا من باب حرية الباحث، والتي تعينه كثيراً في استخراج الأسرار والألغاز والمكونات الموجودة في النصوص، وهذا ما لمسانه من هذا الناقد الفذ الذي يعدّ موسوعة كيف لا وقد أعانه الله في تأليف كتاب خاص بسورة من سور القرآن الكريم، فمن خلال مزجه المنهج السيميائي بالمنهج الأسلوبي، نجح مرتاض في الكشف عن أسرارٍ وألغازٍ ومكوناتٍ لم تكن واضحةً للعيان في النص القرآني الذي درسه في سورة الرحمن.

لقد ظهر هذا جلياً في كتابه "نظام الخطاب القرآني: تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن". هذا يدلّ على أنّ حرية الباحث في اختيار المنهج المناسب تُساعده على استخراج المزيد من المعاني والجماليات من النصوص، كما أنّ طريقة الجمع والربط بين المناهج النقدية تعدّ أداة فعالة في تحليل النصوص القرآنية وإبراز جمالياتها. لذلك أعتبر الناقد عبد الملك مرتاض موسوعةً جزائريةً في مجال النقد الأدبي، فهو نموذجٌ يُحتذى به في التعمّق في النصوص وفهمها فهماً دقيقاً.

كما أسهم عبد الملك مرتاض بشكل كبير في معرفة مدى استجابة النصّ القرآني لإجراءات التحليل السيميائي، وأثبت أنّ النصّ القرآني غني بالرموز والدلالات التي

تمكن من تحليله، وإمكانية تطبيق التحليل السيميائي على النصوص القرآنية، كما ساعدت دراسات مرتاض الباحثين على إدراك وفهم الكيفية الصحيحة لتطبيق التحليل السيميائي على النصوص القرآنية، وزودهم بأدوات ضرورية لمواجهة تحديات هذا المجال.

6- قائمة المراجع:

- ابتسام مهران(2022): خطوات التحليل السيميائي للنصوص الأدبية، رابط الموقع:(14/09/2022) <https://mawdoo3.com>
- ابن خلدون: المقدمة، دار الشعب، (القاهرة: دار الشعب، 1950).
- جلال الدين السيوطي: لبان النقول في أسباب النزول، دار الكتب العلمية، (لبنان: دار الكتب العلمية، 2002).
- جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، دار صادر (بيروت: دار صادر 2000).
- جميل حمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية؛ التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، شبكة الألوكة، (المغرب: الألوكة، 2019).
- حاجي عبد الرزاق/بلقاسم هوارى: آليات التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد الجزائري؛ قصيدة (بادار) لمحمد العيد آل خليفة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 13، العدد 01، السنة 2021، ص 1202.
- حباسي خالد: الخطاب الإسلامي المعاصر، منطلقاته الإستراتيجية ومحدداته المنهجية دراسة تحليلية نقدية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، السنة 2012، القسم: العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية الخروية، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، البلد (الجزائر)، 2012، ص 17-21.
- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، دار الفضيلة، (القاهرة: دار الفضيلة 2011).

- صبري فوزي أبو حسين (2019): مفاهيم السيميائية وإجراءاتها: الرابط: [https://kenanaonline.com/users/sabryfatma/posts/\(16/04/2019\)](https://kenanaonline.com/users/sabryfatma/posts/(16/04/2019))
 - عائشة عامر شوكت (2014): سورة الرحمن (سبب النزول، الفضل والمميزات)، رابط الموقع: [https://www.alukah.net\(28/05/2014\)/](https://www.alukah.net(28/05/2014)/)
 - عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار هومة، (الجزائر: دار هومة 2001).
 - فتحي الدّريني المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة 2013).
 - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع 1397هـ/1977م).
 - محمد عزام (2008): تأصيل المناهج النقدية (السيميائية نموذجاً)، رابط الموقع: [https://www.diwanalarab.com/\(19/09/2008\)](https://www.diwanalarab.com/(19/09/2008))
 - محمد مكاي: التجربة النقدية الجزائرية المعاصر (البنوية، السيميائية، الأسلوبية)، أطروحة ماجستير (منشورة)، السنة 2005، الكلية: الأدب العربي، جامعة سعد دحلب البلدية-البلد (الجزائر)، 2005، ص 102.
- الهوامش والإحالات:

¹ -جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، ط1، 2000، مادة (س وم).

² -ابن خلدون: المقدمة، دار الشعب، القاهرة، 1950، ص 419.

³ -الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد الصديق مشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2011، ص 215

⁴ -محمد عزام: تأصيل المناهج النقدية (السيميائية نموذجاً)، تاريخ النشر: 2008/09/19، تاريخ الاطلاع: 2022/12/12، رابط الموقع: <https://www.diwanalarab.com/>

⁵-صبري فوزي أبو حسين: مفاهيم السيميائية وإجراءاتها: تاريخ النشر: 2019/04/16، تاريخ الاطلاع: 2022/12/13، الرابط:

<https://kenanaonline.com/users/sabryfatma/posts/>

⁶-جميل حمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية؛ التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، الألوكة، (د ط)، (د ت)، ص 6.

⁷-ابتسام مهران: خطوات التحليل السيميائي للنصوص الأدبية، تاريخ النشر: 2022/09/14، تاريخ الاطلاع: 2022/12/26، رابط النشر: <https://mawdoo3.com/>

⁸-حاجي عبدالرزاق/ بلقاسم هوارى: آليات التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد الجزائري؛ قصيدة (يادار) لمحمد العيد آل خليفة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 13، العدد 01، السنة: 2021، ص 1202

*- ولد عبد الملك مرتاض في 10 أكتوبر 1935؛ أستاذ جامعي وأديب جزائري حاصل على الدكتوراة في الأدب، ولد في مسيردة بولاية تلمسان. رئيس المجلس الأعلى للغة العربية (2001 م)، من أهم صفاته بين طلبته تواضعه وسمته يعد مرجعا في الدراسات الأدبية والنقدية. كان عضوا في لجنة التحكيم لمسابقة شاعر المليون التي أقيمت في أبو ظبي، نال جائزة عويس الثقافية بالإمارات سنة 2021.

⁹-ينظر: حباسي خالد: الخطاب الإسلامي المعاصر، منطلقاته الإستراتيجية ومحدداته المنهجية دراسة تحليلية نقدية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة كلية العلوم الإسلامية الخروبة (الجزائر)، 2012، ص 17-21.

¹⁰رواه السيوطي في الدار المنثور، حديث إسناده حسن، الرقم: 100/14

¹¹-ينظر: جلال الدين السيوطي: لبان النقول في أسباب النزول، دار الكتب العلمية، لبنان، 1959، ص 186

¹²-محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1397، ج 27، ص 228.

¹³-عائشة عامر شوكت: سورة الرحمن (سبب النزول، الفضل والمميزات)، تاريخ النشر: 2014/05/28، تاريخ الاطلاع: 2022/12/23، رابط الموقع: <https://www.alukah.net/>

¹⁴-ينظر: عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار هومة، الجزائر، 2001، ص9

*-نحت أطلقه عبد الملك مرتاض على قوله تعالى: فبأي آلاء ربكما تكذبان.

¹⁵-عبد الملك مرتاض: المصدر نفسه، ص18

¹⁶-فتحي الدريني المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3؛ 2013.

¹⁷-عبد الملك مرتاض: المصدر السابق، ص27

¹⁸-ينظر: المصدر نفسه: ص29، 30

¹⁹-ينظر: المصدر نفسه: ص36، 37، 38

²⁰-ينظر: عبد الملك مرتاض، المصدر نفسه، ص71، 72

²¹-المصدر نفسه: ص95

²²-المصدر نفسه: ص21

²³-محمد مكاوي: التجربة النقدية الجزائرية المعاصر (النبوية، السيميائية، الأسلوبية)، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة سعد دحلب البلدة-الجزائر، 2005، ص102.